

*Mohamed Abdel Moumen | محمد عبد المؤمن

سجناء حرب الريف من خلال وثائق إسبانية

Rif War Prisoners Through Spanish Documents

خلفت حرب الريف التي دارت رحاها بشمال المغرب، في الفترة 1921-1927، العديد من الضحايا ما بين قتيل وجريح ومعطوب، كما خللت العديد من الأسرى من الجانبين المتصاربين. وإذا كان الباحثون الإسبان قد اهتموا بقضية مواطنيهم الذين أسرتهم حركة المقاومة المغربية، فإن الأسرى المغاربة لم يحظوا بأي دراسات باستثناء بعض الإشارات المتفرقة. تهدف هذه الدراسة إلى تسلیط الضوء على قضية الأسرى المغاربة الذين وقعوا في قبضة الجيش الإسباني، من خلال التركيز على الفضاءات السجنية وظروف السجن وأنواع السجناء، إضافة إلى موقف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من مسألة الأسرى. وقد اعتمدت الدراسة مجموعة من وثائق المندوبيّة الساميّة لإسبانيا بالمغرب، المحفوظة في الأرشيف العام للادارة الإسبانية، ومقره مدينة ألكالا دي هيناريس.

كلمات مفتاحية: منطقة الحماية الإسبانية بشمال المغرب، حرب الريف، محمد بن عبد الكريم الخطابي، سجناء، سجون إسبانية.

The Rif War, which raged in northern Morocco between 1921 and 1927, left many killed and wounded, with many prisoners taken by both sides. While Spanish researchers were concerned with the issue of their citizens captured by the Moroccan resistance movement, Moroccan prisoners, save a few sporadic references, have not been the subject of studies. This contribution aims to shed light on the Moroccan POWs who had fallen into the hands of the Spanish army, with a focus on prison spaces, prison conditions, and types of prisoners, as well as political and military leader Mohamed ibn Abdelkrim El-Khattabi's stance on the issue of prisoners. It draws upon a collection of documents of the High Commission of Spain in Morocco that are preserved in the General Archives of the Spanish Administration, located in Alcalá de Henares.

Keywords: Spanish Protectorate in Northern Morocco, Rif War, Mohamed ibn Abdelkrim El-Khattabi, Prisoners, Spanish Prisons.

* أستاذ التاريخ والجغرافيا بثانوية ابن زهر، تطوان، المغرب.

Professor of history and geography at Ibn Zahr High School, Tetouan, Morocco.

مقدمة

يغلب الاعتقاد بأن حرب الريف "قتلت بحثاً"، وأن جميع، أو على الأقل أكثر، جوانبها حُلت وفضّلت ودرست بما فيه الكفاية، كما هو شأن مواضيع حساسة كثيرة في تاريخ المغرب المعاصر. لكن ثمة مواضيع فرعية كثيرة، وذات أهمية، ما تزال في حاجة إلى تعميق البحث بالنظر إلى ما تمثله في حد ذاتها، أو بالتدخل مع تيمات أخرى، ومن أبرزها المواضيع ذات الصلة بالسجناء والأسرى.

تُخلف الحروب كثيراً من الضحايا ما بين قتلى وجرحى ومعطوبين وأسرى تضييع سنوات أعمارهم خلف جدران السجون والمعتقلات. ولا تمثل حرب الريف استثناء لهذه القاعدة، فعلى الرغم من أن كثيرين كتبوا عن هذه الحرب إلى درجة أصبحنا نتوهم أن كل تفاصيلها صارت معروفة ومدروسة، فإن هناك قضايا أخرى لا تزال في حاجة إلى وقفات، ومنها قضية سجناء هذه الحرب الأليمة.

وما يستوجب التنبية إليه بادئ ذي بدء هو أن مصائر السجناء الإسبان الذين وقعوا في قبضة المجاهدين، بعد معركة أنوال والمعارك التي تلتها،حظيت باهتمام الصحفيين والمؤرخين الإسبان؛ منهم لويس دي أوتيزا Luis de Oteyza الذي حل بالريف عام 1922، واطّلع مباشرة على أحوال الأسرى الإسبان، وكانت له لقاءات مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. وقد نشر ملاحظاته على صفحات جريدة الحرية *La Libertad*، ثم جمعت في كتاب عنوانه عبد الكريم والأسرى، وصار مصدراً لا غنى عنه للمهتمين بالموضوع^(١).

ومن الدراسات القيمة التي تناولت قضية الأسرى نذكر الدراسة التي نشرها الباحث خوسي ماريا مارين أركي- José María Marín Arce وعنوانها: "حكومة التحالف الليبرالي وقضية تحرير الأسرى من قبضة عبد الكريم"^(٢)، ودراسة الباحث خافير روميرو دي لا ماطا Javier Ramiro de la Mata وعنوانها: "الأسرى الإسبان المعتقلون عند عبد الكريم، إرث معركة أنوال"^(٣).

وممن اهتم بهذه القضية من المؤرخين المغاربة: أبو العباس أحمد سكيرج في كتابه: *الظل الوري في محاربة الريف*^(٤)، وأحمد البوعيashi مؤلف كتاب *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*، وغيرهما من سعوا إلى تبرئة المقاومة من التهم التي أُصِّقت بها، ولا سيما سوء معاملة الأسرى الإسبان. أما قضية السجناء المغاربة الذين وقعوا في قبضة القوات الإسبانية، فلم تحظ باهتمام مماثل.

في هذا الصدد، تهدف هذه المساهمة التي استندت فيها إلى ما أمكن الحصول عليه من مادة وثائقية إلى لفت الاهتمام إلى هذه الفئة التي أغفلها البحث التاريخي، وإبراز بعض جوانب معاناة السجناء المغاربة الذين قضوا سنوات طوالاً خلف جدران المعتقلات وسجون الاستعمار الإسباني، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: ما السجون التي أودع فيها سجناء حرب الريف؟ ومن كان يشرف عليها؟ وما الظروف التي عاشها أولئك السجناء؟ وما مصيرهم؟ وما أصناف السجناء؟ وما انتقامتهم القلي؟

1 Luis de Oteyza, *Abd-el-Krim y los prisioneros* (Melilla: Consejería de Cultura, Servicio de Publicaciones, 2000).

2 José María Marín Arce, "El Gobierno de la Concentración Liberal rescató de poder de Abd-El-Krim, Espacio, tiempo y forma," *Serie V, Historia contemporánea* (1988).

3 Javier Ramiro de la Mata, "Los prisioneros españoles cautivos de Abd-el-Krim: un legado del desastre de Annual," *Anales de Historia Contemporánea*, no. 18 (2002).

4 أحمد السكيرج، *الظل الوري في محاربة الريف*، دراسة وتحقيق رشيد يشوقي (الرباط: المعهد الجامعي للبحث العلمي، 2010).

صورة مغاربة في سجن فيكتوريا غراندي بمدينة مليلية

OPERACIONES MILITARES EN EL RIF.



NEILL.—EL ESPAÑOL MARQUES Y SUS COMPAÑEROS, EN EL CALABO DEL FUERTE DE VICTORIA GUARDI.

أولاً: لمحّة عن المعتقلات الإسبانية بشمال المغرب وموقف الخطابي من قضية السجناء المغاربة

1. المصادر المعتمدة

حاول الباحثون الذين اهتموا بحرب الريف توثيق مختلف أطوار هذه الحرب وأحداثها والإحاطة بمختلف جوانبها، غير أنهم أهملوا موضوع السجناء الذين وقعوا في قبضة القوات الإسبانية، باستثناء إشارة يتيمة وردت في كتاب حرب الريف التحريرية، لأحمد البوعيashi⁽⁵⁾، كما أهملوا موضوع السجون التي أقامتها السلطات الإسبانية في مدینتي سبتة ومليلية والجزر.

ومن أجل إماتة اللثام عن هذا الموضوع، كان لا بد من الاعتماد على عينة من وثائق الأرشيف الإسباني، المحفوظة بالأرشيف الإداري العام في ألكالا دي هيناريس Alcalá de Henares⁽⁶⁾، وقد عثرت فيه على بعض الوثائق التي تساعده في تسليط الضوء على بعض جوانب الموضوع.

⁵ أحمد البوعيashi، حرب الريف التحريرية، ج 2 (د. م: منشورات عبد السلام جسوس وسوشبريس، د. ت)، ص 112.

⁶ Archivo General de la administracion, Alcala de Henares, Espana.

توجد هذه الوثائق ضمن المحفظة رقم 81/333 من ربائد المندوية السامية لإسبانيا، المحفوظة بالأرشيف الإداري العام المذكور؛ وهي كالتالي:

أ. قوائم بأسماء سجناء سجن البasha بتطوان، انتقينا منها لائحتين تتضمنان قائمة بأسماء السجناء المحتجزين فيه، وصنفنا السجناء فئات: الفئة الأولى تحمل تاريخ 6 حزيران/ يونيو 1927، والفئة الثانية تحمل تاريخ 17 آب/ أغسطس من العام نفسه، وكل منهمما ملحق يضم أسماء النساء الموجودات في السجن نفسه في كلا التارikhين.

ب. وثائق عن أوضاع مجموعة من السجناء يعود تاريخها إلى عام 1928.

ج. تقارير مفصلة، نسبياً، عن عدد من السجناء وطلبات العفو وأسباب عدم إطلاق سراح السجناء، ويعود تاريخها إلى عام 1931.

د. ملفات مفصلة تضم محاضر الاعتقال وبعض البيانات المفصلة تخص سجينين قضيا مدة طويلة في سجن البasha.

هـ. تقرير عسكري إسباني يتناول وضع الجنود الإسبان والفرنسيين والسنغاليين الأسرى لدى المقاومة.

وـ. مشروع اتفاق قدمته السلطات الاستعمارية لتحقيق السلام مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي.

2. لمحة تاريخية عن المعتقلات الإسبانية بالمغرب

احتلت إسبانيا الجزر الجعفرية عام 1848، في سياق الضغط الاستعماري الأوروبي على المغرب الذي كان تلقى للتو هزيمة قاسية أمام القوات الفرنسية في معركة إيسلي في آب/ أغسطس 1844. وكان ضمن الحملة العسكرية، التي قادها الجنرال سيرانو Serrano⁽⁷⁾، مجموعة من السجناء الذين كلفوا ببناء الثكنات العسكرية والتحصينات، إضافة إلى بنايات في جزيرة إيزابيلا الثانية Isabella Segunda، خُصصت لإيواء الجنود، وأخرى لإيواء السجناء ليظهر بذلك معتقل الجزء الجعفرية⁽⁸⁾.

وقد خُصص هذا المعتقل في البداية لعتاة المجرمين، لكن الاضطرابات التي عرفتها إسبانيا في أثناء الحروب الكارلية⁽⁹⁾ وفترة الجمهورية الأولى⁽¹⁰⁾، وكذا صعود التيارات الاشتراكية بمختلف توجهاتها، إضافة إلى اندلاع حروب الاستقلال في كوبا والفلبين، حولته إلى معتقل خاص بالسجناء السياسيين، وقضى فيه بعضهم سنوات طويلة.

ومع اندلاع معارك عام 1909⁽¹¹⁾، التي قامت بناء على رغبة الإسبان في ضم المناطق الغنية بالمعادن بالريف الشرقي وربطها بميناء مليلية بواسطة السكة الحديدية، أصبحت إسبانيا تحوي العديد من السجون والمعتقلات، من بينها سجن الهاشو بمدينة سبتة، وسجن فيكتوريا غراندي بمدينة مليلية، إضافة إلى معتقل الجزء الجعفرية.

وبعد فرض الحماية الإسبانية على شمال المغرب، استغلَّ السلطات الاستعمارية السجون الموجودة في المغرب قبل فرض الحماية، كسجن البasha بتطوان على سبيل المثال، لاحتجاز الأعداد المتزايدة من سجناء الحق العام والمقاومين، وخصوصاً من وقوعهم في الأسر في أثناء معارك حرب الريف، أو من سلَّموا أنفسهم بعد انتهاء العمليات القتالية.

⁷ سياسي وجنرال عسكري إسباني، قاد عام 1848 حملة عسكرية لاحتلال الجزء الجعفرية، وشغل منصب رئيس الدولة الإسبانية.

⁸ Carlos Esquembri Hinojo, "Las Islas Chafarinas, Desde 1848 Hasta Finales Del Siglo XIX," *Aldaba*, UNED de Melilla, no. 37 (2013), p.213.

⁹ سلسلة من الحروب الأهلية التي عرفتها إسبانيا، خلال القرن التاسع عشر، سببها مطالبة كارلوس دي بوربون وأبنائه بعرش إسبانيا.

¹⁰ مرحلة مضطربة من تاريخ إسبانيا امتدت منذ تنازل الملك أماديو عن العرش عام 1873 إلى انقلاب الجنرال كامبوس عام 1874.

¹¹ مجموعة من المواجهات المسلحة التي وقعت عام 1909 وبداية عام 1910 بين الجيش الإسباني وقبائل قلعية بقيادة الشريف محمد أ Mizan.

3. موقف الأمير محمد بن عبد الكري姆 الخطابي من قضية السجناء المغاربة

دفع الضغط الشعبي الإسباني، المطالب بتحرير السجناء الذين وقعوا في قبضة المقاومين، السلطات الإسبانية إلى الدخول في مفاوضات طويلة مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. وقام كل من محمد إدريس بن سعيد⁽¹²⁾، ومنظمة الصليب الأحمر، بدور الوسيط خلال هذه المفاوضات التي استمرت شهوراً، وتوقفت عدة مرات قبل أن ينجح الطرفان في التوصل إلى اتفاق⁽¹³⁾.

في هذا السياق، ومن خلال الاطلاع على تقرير عسكري إسباني يتناول حالة الأسرى الإسبان والفرنسيين والسنغاليين الذين كانوا في قبضة المقاومين عام 1926⁽¹⁴⁾، وكذلك على نص مشروع الصلح المقترن على الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي⁽¹⁵⁾، يمكن أن نستنتج ما يلي:

- ✿ كانت قضية السجناء المغاربة مطروحة على طاولة المفاوضات، فقد أصرّ الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي على إطلاق سراح جميع السجناء المغاربة الموجودين في قبضة السلطات الإسبانية، في حين اقترح الإسبان إطلاق سراح السجناء المتممرين إلى قبيلةبني ورياغل فقط؛ الأمر الذي رفضه الخطابي قبل الاتفاق على إطلاق سراح 92 معتقلاً، لم يكن في إمكاننا التأكد من انتسابهم إلى القبيلة السالفة الذكر⁽¹⁶⁾.

- ✿ قضية الأسرى تخضع لزاج الرأي العام الإسباني؛ إذ بعد إطلاق سراح أسرى معركة أنوال، تلاشى الاهتمام بموضوع الأسرى على الرغم من تزايد أعدادهم، ومن ثم أصبح في قبضة المقاومين سجناء من جنسيات مختلفة: إسبان، وفرنسيون، وسنغاليون. وقد فضل تقرير عسكري إسباني بإسهاب "أوضاعهم المزرية" من دون أن يشير إلى أي مفاوضات أو محاولات لإطلاق سراحهم. وقد اقتربت السلطات الإسبانية على ابن عبد الكريم اتفاقاً لتحقيق "السلم"، إلا أنه لم يتضمن أي إشارة إلى قضية السجناء، أو إمكانية تبادل الأسرى، أو اتخاذ إجراءات للتخفيف من معاناتهم⁽¹⁷⁾.

ثانياً: السجون

1. السجون والمعتقلات

وضعت السلطات الإسبانية المقاومين المغاربة الذين أسروا، خلال معارك حرب الريف التحريرية، في سجون عدة، من بينها:

- ✿ **معتقل الجزء الجعفري:** أسّس عام 1848 لاحتضان عتاة المجرمين، كما احتُجزَ فيه المنفيون من كوبا والفلبين وكذا الشيوعيون الإسبان. وانطلاقاً من عام 1909، خصّ السجن العديد من المغاربة الذين شاركوا إلى جانب الشريف محمد أمزيان في معارك التصدي

12 أحد موظفي المخزن، عمل في دار النيابة السعيدة (وزارة الخارجية)، وتولى مناصب أخرى، كما أدى دور الوسيط بين الإسبان والخطابي في قضية الأسرى.

13 André Durant, *Histoire du Comité International de la Croix-Rouge*, tome 2 (Genève: Institut Henry-Dunant, 1978), p. 196.

14 تقرير عن أوضاع الأسرى الإسبان، أرسله قائد القوات الإسبانية في مليئة لإدارة المغرب وشؤون المستعمرات بتاريخ 5/7/1926، ينظر: Archivo General de la Administración, Sección Africa, Caja M9.

15 Bases con arreglo a las cuales podría admitirse en principio trataro ficiosamente con sid Mohamed ben Abdelkrim el Jattabi acerca de la paz, Archivo General de la Administración, Sección Africa, Caja M9.

16 Durant, p. 197.

17 تقرير عن أوضاع الأسرى الإسبان:

Archivo General de la Administración, Sección Africa, Caja M9.

للغزو الاستعماري الإسباني، كما احتجز به خلال حرب الريف التحريرية العديد من النساء والأطفال من قبيلة بنى سعيد الريفية أخذوا رهائن لإجبار القبيلة على الاستسلام⁽¹⁸⁾.

سجن فيكتوريا غراندي: عبارة عن حصن تاريخي بمدينة مليلية، حُول إلى سجن لاحتجاز أسرى القوات الإسبانية خلال مواجهات عامي 1893 و1909، وحرب الريف التحريرية (1921-1927).

سجن الهاشو: بُني عام 1886 بجبل الهاشو بمدينة سبتة المحتلة، واحتضن في أول الأمر المعتقلين السياسيين والانفصاليين الكوبيين والفلبينيين، وفي مرحلة لاحقة أولى المئات من المغاربة الذين أُسروا خلال حرب الريف. وعلى الرغم من أن طاقة السجن الاستيعابية كانت في حدود ثلاثة سجين، فإن العدد خلال تلك الفترة تجاوز سبعين⁽¹⁹⁾. وعقب نهاية الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939)، حُول السجن والمنطقة المحيطة به إلى معسكر اعتقال ضمّ نحو ثلاثة آلاف شخص.

سجن البasha: سجن قديم بُني قبل الحماية، يقع ضمن مجمع ضم العديد من البناءات المخزنية، أهمها قصر الخليفة. والسجن بناء مؤلف من ثلاثة طوابق، وظفه الإسبان لاحتضان المتهمن والمدانين ممن شاركوا في حرب الريف، سواء من حمل السلاح ضد الإسبان أو أسهم في تموين المقاومة وتسلیحها. وقد هدم السجن خلال خمسينيات القرن الماضي، وحلّ محله بناية تابعة للهلال الأحمر المغربي.

2. إدارة السجون

كانت سجون المنطقة الخليجية تابعة لمندوبيّة الشؤون الأهلية (نيابة الأمور الوطنية). وقبل تأسيس هذه المندوبيّة عام 1927، كان هناك جهاز آخر يقوم بالمهام نفسه؛ إذ يراقب المواطنين ويختبرهم لنظام الحماية، وهو جهاز المراقبة العسكريّة الذي كان يشرف على السجون، أما السجون الموجودة في سبتة ومليلية والجزر الجعفرية، فكانت تابعة لوزارة الحرب الإسبانية، ويديرها عسكريون إسبان⁽²⁰⁾. وقد جرى تكليف عدد من النسوة بالإشراف على سجن الإناث، وأطلق عليهن لقب "العريفة"، كما ورد في أحد أعداد الجريدة الرسمية⁽²¹⁾.

3. ظروف السجن

في الجزء الثاني من كتاب، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، لأحمد البوعيashi، وردت إشارة وجيزة ولكنها معتبرة، جاء فيها: "بينما نحن حول الدار نلتقطى بعذاب الضمير، الذي كانت وطأته أشد من وطأة العذاب بالسياط المنصب على أجسام الأعمام، فإذا بضابط الصف مع خمسة أنفار من حراسه يركضون ركضاً على خيولهم قاصدين إلى دارنا، فهرع أئيمهم واختلى به ضابط الصف، وبعد برهة أخذوا أخانا الأكبر يوسف وذهبوا به إلى المجذرة البشرية"⁽²²⁾. فإلى أي حد ينطبق وصف المجذرة البشرية المخيف على سجون الاستعمار الإسباني؟

¹⁸ Carlos Esquembri Hinojo, "Las Islas Chafarinas durante el siglo XX," p. 25.

¹⁹ لوائح بأسماء السجناء المغاربة المعتقلين بسجن الهاشو عام 1927، ينظر: Archivo General de la Administración, Sección África, Caja 81/633.

²⁰ Hinojo, "Las Islas Chafarinas durante el siglo XX," p.14.

²¹ Boletín Oficial de la Zona de Influencia Española en Marruecos, Año I, Núm. 6, Madrid 25/6/1913, p. 11.

²² البوعيashi، ص 112.

لا شك في أنها إشارة مهمة، ولعل الوثائق التي كشفت تسهيلات في إلقاء مزيد من الضوء على بعض جوانب الاعتقال خلال فترة العشرينات، وتسهيلات في تكوين صورة عامة عن سجناء تلك الفترة، وبخاصة سجناء حرب الريف.

وتفصح هذه الوثائق مثلاً عن التغذية السيئة التي كانت سمة ملزمة للسجون الإسبانية⁽²³⁾، سواء تلك التي أقيمت قبل الحماية في مدineti سبتة ومليلية والجزر المحتلة، أو السجون والمعتقلات التي أقيمت بعد ذلك. فبحسب المقاوم محمد بن عبد القادر الشتوكي، استمرت مسألة قلة الطعام المقدم للسجناء ورعايته حتى حصول المغرب على استقلاله عام 1956⁽²⁴⁾. ولعل أهم ما تشير إليه هذه الوثائق هو أنه كان على السجناء أداء تكاليف الإقامة، واضطر العاجزون مادياً إلى استهلاك حصص الطعام الرديء الذي أحق أضراراً صحية بالعديد منهم⁽²⁵⁾.

في السياق ذاته، تكشف الوثائق عن خاصية أخرى للسجون الاستعمارية الإسبانية تتمثل في الانتظار؛ فقد كان على هذا الفضاء، الذي أنشئ في الأصل لإيواء عدد محدود من السجناء، استقبال العشرات ممن سلّموا أنفسهم، ولا سيما في السنوات الأخيرة من الحرب، أو أولئك الذين تمكّنوا منهم القوات الإسبانية في أثناء المواجهات العسكرية أو بعدها، ليضافوا إلى العشرات من معتقلي الحق العام. ويبدو أن عدداً من سجناء الحرب يجيء بهم من مدن أخرى؛ نتيجة لانتظار السجون.

وقد كان ظاهريًّا الانتظار وسوء التغذية نتائج وخيمة؛ إذ وقعت وفيات⁽²⁶⁾ بين صفوف السجناء؛ ما أدى إلى توسيع الأجراءات داخل المؤسسات السجنية. ويشير عدد من هذه الوثائق إلى وقوع حالات من التمرد وحالات من العنف المتبادل، وقد كانت ردود الأفعال هذه ممارسات شائعة بين السجناء⁽²⁷⁾.

ولابد من تأكيد أن معاملة السجان لسجنهاته خضعت لمقاييس محددة، فقد كان البعض منهم يحظون بمعاملة تفضيلية، إما بسبب المكانة الاجتماعية، أو ببساطة، لتوفرهم على إمكانات مادية تمكّن من تقديم رشاوى للمسؤولين⁽²⁸⁾.

ثالثاً: السجناء

1. أصناف المعتقلين وانتماءاتهم القبلية

لت缤纷 السجناء اعتمدت الدراسة على قائمتين تتضمنان أسماء المعتقلين الذين كانوا محتجزين بسجين البasha، وذلك بالنظر إلى التهم الموجهة إليهم:

✿ **سجناء الحرب:** الذين وقعوا في قبضة القوات الإسبانية في أثناء المواجهات العسكرية، فاستناداً إلى القائمتين سلف ذكرهما، يتبعمي أغلب هؤلاء السجناء إلى قبائل: بني حزمر، وبني ورياغل، وبني زروال.

23 Hinojo, "Las Islas Chafarinas durante el siglo XX," p.19.

24 محمد بن عبد القادر الشتوكي، رحلة السلاح والزنزانة الانفرادية (الدار البيضاء: منشورات مؤسسة محمد الزرقطوني للثقافة والأبحاث، 2005)، ص 89.

25 Carlos EsquembriHinojo, "Las Islas Chafarinas durante el siglo XX," p.19.

26 لوائح بأسماء السجناء المغاربة المعتقلين بسجن الهاشو عام 1927، ينظر:

Archivo General de la Administración, Sección Africa, Caja 81/633.

27 Ibid.

28 محمد داود، مختصر تاريخ تطوان، مراجعة حسناء داود (د. م: منشورات المساراة، 2008)، ص 476.

- ✿ المستسلمون من غير تقديم السلاح: وهم الفئة التي فضلت تسليم نفسها إلى القوات الإسبانية من غير تسليم السلاح، ويتنتمي أغلبهم إلى القبائل المجاورة لتطوان، وبخاصة بني حزمر، والحووز، وأنجرة، وغمارة.
- ✿ المتهموون بإخفاء السلاح: أي الفئة التي اتهمت بإخفاء السلاح قبل الاستسلام للقوات الإسبانية.
- ✿ المعتقلون بسبب قضايا سياسية: لم تحدد هذه الوثائق بدقة طبيعة هذه القضايا، ولكن ما يمكن ذكره هو أن كل هؤلاء المعتقلين هم من مدينة شفشاون.
- ✿ المتهمون بتقديم السلاح والمواد التموينية إلى "المتمردين": يتنتمي معظمهم إلى قبائل قريبة من تطوان مثل: أنجرة، وبني عروس، وبني مصour، وبني حسان، وبني حزمر.
- ✿ المتهمون بتقديم معلومات حول تحرك الفرق الإسبانية إلى "المتمردين": ويتناول معظم هؤلاء إلى قبائل محاذية لمدينة تطوان كذلك، خاصة قبائل وادراس، وبني حزمر، وبني حسان.
- ✿ المعتقلون بسبب وجود أحد الأقارب أو الأصحاب في صفوف "المتمردين": معظمهم من النساء اللواتي اعتقلن بهدف إرغام أقاربهن الفارّين على الاستسلام.

الجدول (1)

تصنيف السجناء الواردة أسماؤهم في اللائحتين بحسب التهم الموجهة إليهم

أنواع السجناء	عددهم في الوثيقة الأولى	عددهم في الوثيقة الثانية
سجناء الحرب	51	0
المستسلمون من غير تسليم السلاح	10	21
المتهموون بإخفاء السلاح	0	43
المعتقلون بسبب قضايا سياسية	0	9
المتهمون بتقديم السلاح والمواد التموينية إلى "المتمردين"	11	3
المتهمون بتقديم معلومات حول تحرك الفرق الإسبانية إلى "المتمردين"	1	3
المعتقلون بسبب وجود أحد الأقارب أو الأصحاب في صفوف "المتمردين"	7	5
المجموع	80	84

المصدر: من إعداد الباحث انطلاقاً من قائمة السجناء المحتجزين بسجن البasha بتاريخ 6 حزيران / يونيو 1927 (اللائحة الأولى)، وقائمة السجناء المحتجزين بسجن البasha بتاريخ 17 آب / أغسطس 1927. (اللائحة الثانية):

Archivo General de la Administración, Sección Africa, Caja 81/633.

الجدول (2)

تصنيف المتهممين الواردة أسماؤهم في اللائحتين بحسب انتمامهم القبلي

القبائل التي ينتمي إليها المعتقلون	العدد في اللائحة الأولى	العدد في اللائحة الثانية
بني حزمر	10	60
بني ورياغل	17	0
بني يدر	8	0
بني حسان	3	1
الأخماس	5	0
بني مصور	6	6
بني زروال	5	0
بني عروس	1	0
بني سعيد	7	0
بني منصور	1	0
بني سلمان	1	0
بني خالد	1	0
بني زجل	1	0
الفحص	1	0
أنجراة	4	0
شفشاون	0	9
وادلو	0	4
الحوز	1	0
المجموع	72	80

المصدر: المرجع نفسه.

2. السجينات

تتضمن اللائحة الأولى المشار إليها سابقًا، وتاريخها 6 حزيران / يونيو 1927، أسماء ثمانٍ وعشرين امرأة، ست منهن سجينات بسبب السرقة والقتل والدعارة، والبقية إما بسبب قربتهن العائلية بفارين: أبناء، أزواج، أصهار، وإما بسبب نقلهن السلاح والذخيرة، وإما بسبب تقديم المؤن ورصد تحركات الجيش الإسباني. وأغلب هؤلاء السجينات ينتمين إلى القبائل المجاورة لتطوان، كالحوز، وبني حزمر، وبني حسان، وواد راس ... إلخ.

وتتضمن الوثيقة تاريخ الإفراج عن عدد منهم، والمدة التي قضتها أولئك النساء في المعتقل، وقد راوحت بين أسبوعين وتسعة أشهر، لكن إحدى السجينات اعتُقلت بتهمة نقل السلاح، ومكثت في السجن مدة تزيد على ستة أعوام.

3. مدة العقوبة السجنية ومصير المعتقلين

من خلال مقارنة القائمتين السالفتين بوثائق أخرى تضم معلومات تفصيلية حول سجناء الحق العام وسجناء الحرب المعتقلين بسجن البasha، يعود تاريخها إلى عام 1931. يتبيّن أن السلطات الإسبانية أفرجت عن عدد من أسرى الحرب في مناسبات متعددة، ولا سيما في الأعوام 1928، 1930، و1931، بل إن بعضهم لم يمضوا في السجن إلا أياماً أو شهراً معدودة، ولم يخضعوا لأي محاكمة. لكن مصير آخرين، وهم كثُر، ظلَّ معلقاً بيد بعض قادة القبائل، أو بعض ضباط الجيش الإسباني، نذكر منهم العقيد أوسفالدو كاباث Osvaldo Capaz الذي شغل منصب مندوب الشؤون الأهلية⁽²⁹⁾.

وفي المقابل، لم تكن السلطات الإسبانية متسامحة على الإطلاق مع الجنود المغاربة المتممِّين إلى الجيش النظامي، والذين خدموا في الجيش الإسباني وتعاونوا مع المقاومة، سواء عبر تهريب السلاح أو الإمداد بالمؤن أو المعلومات، فقد عُرضوا على المحكمة العسكرية بتطوان، وصدرت في حقهم أحكام بالسجن لدد راوحَت بين 15 و30 عاماً⁽³⁰⁾.

ومن المفيد إبراد ما دوَّنه المقاوم محمد بن المختار الأنصاري في كتابه: *جولات في ذاكرة مقاوم؛ إذ يذكر ما يأتي: "دخلنا حجرة خاصة ببنية السجن، وبعد أخذ قسط من الراحة، خرجنا نتجول في فضاء السجن، فالتقينا سجناء طاعنين في السن أخذ منهم الكبير عتيّا، فاتضح لنا أنهم معتقلون منذ ثورة محمد بن عبد الكرييم الخطابي في عشرينيات القرن الماضي كمجاهدين أسرى. ولما تعرفوا علينا، وأشاروا لنا بأن الاستعمار الفرنسي جنة بالمقارنة مع الاستعمار الإسباني الذي هو بمثابة جحيم وعدَاب"*⁽³¹⁾.

خاتمة

يتبيّن، من خلال الوثائق المستثمرة في هذا البحث، أن السجون الإسبانية في المغرب قديمة، وشيّدت في البداية لاستقبال المجرمين والمعارضين الاشتراكيين ذوي الميول الفوضوية والراديكالية، وكذلك لاستقبال الانفصاليين الكوبيين والفلبينيين. لكن بعد فرض الحماية على المغرب واندلاع حرب الريف، تحولت تلك السجون إلى أداة للمراقبة وإنزال العقاب بالمواطنين المغاربة، كما صارت وسيلة للابتزاز، وخصوصاً أن عدداً مهماً من مكثوا بين جدرانها لم تكن تربطهم أي علاقة مباشرة ب مجريات الحرب.

كما نستنتج أن ظروف الاعتقال كانت قاسية على من حملوا السلاح أو أخفووه، وعلى من تعاونوا مع المقاومين من المجندين المغاربة في صفوف الجيش الإسباني.

ومع أهمية هذه الوثائق وقيمتها التاريخية، فإن دراسة موضوع السجن والسجناء تتطلّب مزيداً من الحفر، كما تنتَلِّب تعمقاً يستند إلى وثائق إسبانية أكثر عدداً وشمولية، وما تحتويه الأرشيفات الإسبانية قمين بالقيام بهذه الدراسة.

29 عسكري إسباني، شغل منصب مندوب الشؤون الأهلية مرات عدة، أُعدم عند اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية عام 1936.

30 طلبات العفو التي تقدم بها عدد من الجنود النظميين السابقيين المسجونين في سجن البasha بتاريخ نيسان/أبريل 1931، ينظر:

Archivo General de la Administración, SecciónAfrica, 81/633.

31 محمد بن المختار الأنصاري، *جولات في ذاكرة مقاوم، ج 1* (الرباط: دار أبي رقرق، 2012)، ص 63.

References

المراجع

العربية

- الأنصاري، محمد بن المختار. *جولات في ذاكرة مقاوم*. ج 1. الرباط: دار أبي رقراق، 2012.
- البوعيashi، أحمد. *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*. ج 2. د. م: منشورات عبد السلام جسوس وسوشبريس، د. ت.
- داود، محمد. *مختصر تاريخ تطوان*. مراجعة حسناء داود. د. م: منشورات المسارة، 2008.
- الشتوكى، محمد بن عبد القادر. *رحلة السلاح والزنزان الانفرادية*. الدار البيضاء: منشورات مؤسسة محمد الزرقطونى للثقافة والأبحاث، 2005.

الأجنبية

- Archivo General de la Administración, Sección Africa, Caja 81/633.
- Bases con arreglo a las cualespodríaadmitirse en principiotorataroficiosamente con sid Mohamed ben Abdelkrim el Jatabia cerca de la paz, Archivo General de la Administración, SecciónAfrica, Caja M9.
- *Boletín Oficial de la Zona de InfluenciaEspañola en Marruecos*. Año I, Núm. 6. Madrid. 25/6/1913.
- De Oteyza, Luis. *Abd-el-Krim y los prisioneros*. Melilla: Consejería de Cultura, Servicio de Publicaciones, 2000.
- Durant, André. *Histoire du Comité International de la Croix-Rouge*. tome 2. Genève :Institut Henry-Dunant, 1978.
- Esquembri Hinojo, Carlos. "Las Islas Chafarinas, desde 1848 hasta finales del siglo XIX." *Aldaba*, UNED de Melilla. no. 37 (2013).
- _____. "Las Islas Chafarinas durante el siglo XX." *Aldaba*, UNED de Melilla. no. 38 (2013).
- Marín Arce, José María. "El Gobierno de la Concentración Liberal: el rescate de prisioneros en poder de Abd-El-Krim." *Espacio, tiempo y forma*. Serie V. *Historia contemporánea* (1988).
- Ramiro de la Mata, Javier. "Los prisioneros españoles cautivos de Abd-el-Krim: un legado del desastre de Annual." *Anales de Historia Contemporánea*. no. 18 (2002).